{الصداقة في الإسلام}

تقبل الله أعمالكم ، وغفر الله لنا ولكم ، أوصيكم ونفسي بتقوى الله سبحانه وتعالى ، وكثرة الاستغفار ، وكثرة الصلاة على محمد وآل محمد ، (اللهم صلِّ على محمد وآله محمد) .

ورد في الخبر : (عليك بأخوان الصدق فإنهم زينة في الرخاء ، وعصمة في البلاء)

محاور الكلمة :

المحور الأول : مقدمة :

مسألة الصداقة من الأمور التي تدعوها الفطرة البشرية ، فالإنسان بطبعه يميل إلى تكوين العلاقات ، والارتباطات الاجتماعية ، وهذه العلاقات تقوى وتضعف ، بحسب الارتباط مع الطرف الآخر ، ومن العلاقات والارتباطات والتي تعتبر ارتباطاً قوياً هي قضية الصداقة ، والصحبة .

المحور الثاني : تأثر الصديق بصديقه :

للصديق وللصاحب أثر على تكوين شخصية الإنسان إما فكرياً ، وكذلك أخلاقياً وسلوكياً .

فإن الصاحب والصديق يؤثر على صاحبه ، وصديقه .

المحور الثالث : الصديق بنظر الإسلام :

أولت الشريعة الإسلامية اهتماماً كبيراً لقضية الصديق ، والصاحب ، بحيث أشارت مَن نصاحب ومن نصادق ؟ ؛ لأن الصديق له أثر على شخصية صديقه ، وكما نُعبر (الصاحب ساحب) ، يعني يتأثر به الإنسان .

لذلك على الإنسان كما يهتم بمأكله ، وملبسه ، ومشربه ، في الأمور المادية ، كذلك ينبغي عليه أن يهتم بعقله ، بسلوكه ، بأخلاقه ، ولذلك يختار الصديق والصاحب الذي يدعوه أولاً إلى الاستقامة ، إلى الصلاح ، إلى الإيمان ، ويكون محفزاً ومشجعاً له في هذه الحياة .

فالإنسان إذن لابد أن يترك أثراً إيجابياً تجاه من يعاشرهم ، ومن يخالطهم .

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : " خالطوا الناس مخالطة ، إن عشتم معها حنوا إليكم ، وإن متم معها بكوا عليكم "

يعني لابد أن الإنسان يترك أثراً إيجابياً

، أثراً إيمانياً ، تجاه من يخالط ، وخصوصاً الصديق .

فنجد أن الإسلام يؤكد على أن الإنسان يختار له صديقاً ، يختار له صاحباً ، لكن أيضاً في المقابل بين صفات ذلك الصديق .

المحور الرابع : الحث على اتخاذ الأصدقاء :

هناك بعض الأخبار التي تؤكد على أن الإنسان يختار له صديقاً ؛ - لأن الإنسان لا يعيش العزلة ، بطبعه يميل إلى الاجتماع - مثلاً ورد :

أ- عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : " عليك بأخوان الصدق ، فأكثر من اكتسابهم ، فإنهم عدة عند الرخاء ، وجنة عند البلاء " .

يعني الصديق له أثر في الوقوف مع صديقه في الملمات ، في البلاء ، في المصائب ، وليس فقط في الرخاء مع صديقه .

وأيضاً ورد :

ب - عن الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) ، قال : " من استفاد أخاً في ا استفاد بيتاً في الجنة " .

لما يختار الإنسان له صديقاً في ا تبارك وتعالى فكأنما بنا له بيتاً في الجنة ، وهذا إشارة بأن الصديق له أثر على استقامة الإنسان ، بحيث أن هذه الاستقامة تؤثر على سلوكه ، وعلى طاعته ، وعلى عبادته ، فالنتيجة يكون من أهل الجنة .

وورد أيضاً عن :

ت - أمير المؤمنين (عليه السلام) : " أعجز الناس من عجز عن اكتساب الأخوان ، وأعجز منه من ضيع من ظفر منهم "

الإنسان العاجز الذي لا يستطيع أن يكون علاقات طيبة ، صالحة مع الآخرين ، ويكون أصدقاء ، ولكن الأنكى ، والأعظم أن الإنسان عنده أصدقاء ظفر بهم ، ولكنه بعد ذلك ضيعهم ، ربما مشكلة خفيفة ، بسيطة ، يمكن أن تُحل ، ولكن كل طرف يعاند ، ويريد من الطرف الآخر أن يعتذر له ، فتكون هناك قطيعة بينهما ، وفي رواية أيضاً :

ث - " ما اكتسب العبد بعد الإيمان أفضل من أخ في ا " .

فإذن هذه الروايات ، وغيرها تؤكد على الإنسان أن يختار صديقاً وصاحباً .

ولكن السؤال من تصادق ؟

المحور الخامس : من نصادق ؟ :

هل نختار كل أحد ، نصادقه ، نخالطه ، نجعله أخاً لنا ، أو أن نختار أشخاصاً تجسدت فيهم صفات خاصة

، نختار الذي يكون له عوناً على استقامتنا ، وعلى صلاحنا ، لماذا ؟ لأنه - كما أشرنا - بأن الصديق له أثر على سلوك صديقه .

أ - ورد عن نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) يقول : " المرء على دين خليلة ، فلينظر أحدُكم من يخالل " .

من يخالل يعني من يصاحب ، ما معنى على دين خليله ؟ ، يعني يتأثر بسلوكه ، بأخلاقه ، باستقامته ، لذلك الإنسان ينظر ، ويلاحظ من يصادق ومن يخالل .

ب - و ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) : " ومن لم يجتنب مصادقة الأحمق - الذي لا يُحسن التصرف - أوشك أن يتخلق بأخلاقه " .

إنسان لما يصاحب له إنسان لا يِحُسن التصرف ، عبثي في تصرفاته ، عنده فوضى ، وبالنتيجة يكتسب الإنسان ذلك الحُمق

فإذن السؤال من نصادق ؟

نصادق ما أشارت إليه الروايات الوردة عن أهل البيت (عليهم السلام) ، نذكر بعض النصوص سريعاً - حتى لا نطيل عليكم -

١- أن يكون عاقلاً لبيباً :

يتصرف بعقلانية ، بحكمة ، بهدوء ، لا يكون إنساناً أحمقاً ، أو يكون إنساناً عبثياً .

٢- أن يكون متحلياً - يعني متصفاً - بالإيمان ، والصلاح ، وحُسن الخلق :

أ- ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : يا أبا ذر - وهذا الكلام لأبي ذر ، ولكنه وصية لكل إنسان يريد صاحباً صالحاً - " لا تصاحب إلا مؤمناً " . أن الإنسان يحاول أن يصاحب مؤمناً ؛ حتى يكتسب منه الإيمان .

ب - و ورد أيضاً في الخبر : " مصاحبة الأبرار توجب الشرف " - عندما تصاحب مؤمناً صالحاً الناس تنظر إليك ، تقول قد صاحب فلاناً ، ولكن إذا صاحب إنساناً منحرفاً فاسقاً - والعياذ بالله - أيضاً هذا يسيء إلى شخصية الإنسان - " ومصاحبة الفجار توجب التلف " ، التلف في الأخلاق وفي السلوك .

٣- الوفاء:

وهو أن يكون هناك وفاء بين الأصدقاء ، وهذا الوفاء لا يُعرف إلا عند الشدة ، والبلاء .

١- ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : " لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه - يعني يكون وفياً - في ثلاث : في نكبته - في مصيبته لا أنه إذا أصبح في مصيبة وبليه يبتعد عنه - ، وغيْبَته - إذا كان غائباً يحفظه ، إذا أحد تكلم عليه يدافع عنه ، إذا أُسيء إليه يدافع عنه في عرضه - و وفاته - يعني هذه العلاقة لا تنقطع بموت الصديق ، إذا عندي صديق حميم وعلاقة قوية مدى العمر لا يمكن

أنساه ، أذكره بالخير ، بالدعاء ، أعمال صالحة ، فهذه العلاقة لا تنقطع ، فهذا من الوفاء للصديق ، بأن يذكره حتى بعد موته" .

٤ - الصدق :

سُمي الصديق صديقاً ؛ لأنه لابد أن يكون صادقاً في صداقته ، وأخوته ، لا أن تكون صداقته لمصالح ، ولأهداف ، إذا انتهت تلك الأهداف وتحققت تلك المصالح ترك صديقه .

أ- ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : " عليك بأخوان الصدق ... " .

ب - وأيضاً ورد- في الرواية التي ذكرناها في بداية الكلام - : " عليك بأخوان الصدق ، فإنهم زينة في الرخاء - ما أجمل الإنسان إذا كان في رخاء ، في زواج ، في فرح وإذ بصديقه يؤازه ، فيكون جمالاً له ، عوناً له - وعصمة في البلاء - العصمة يعني المنع ، نقول هذا معصوم يعني يمتنع الوقوع في الرذائل ، كذلك الصديق يكون عصمة ، و مُؤازِر لأخيه في البلاء ، وفي المحن -" .

ت - وأيضاً ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : " من النعم - هذه نعمة أن الإنسان يحوز على صديق - الصديق الصدوق " .

صديق لكن ليس كل صديق وإنما صدوق أيضاً ، صدوق في قوله ، وفي تصرفاته ، وفي مواقفه .

المحور الخامس : ماهي حدود الصداقة ؟ :

وورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) يبين حدود الصداقة ،

يقول : " لا تكون الصداقة إلا بحدودها - ما هي حدودها ؟ ، يا أبا عبدا الصادق :

أولاً : أن تكون سريرته وعلانيته لك واحدة .

يعني الذي يُظهر مثل الذي يبطن ، واضح ، ليس عنده غموض ، إذا أظهر شيئاً فهو يُبطنه .

وثانياً :أن يرى زينك زينه، وشينك شينه .

فكأنما الشيء إذا زانك زانه هو ، وإذا شيء شانك شانه ، روح واحدة في جسدين .

وثالثاً : أن لا تُغيره عليك ولاية ، ولا مال .

يعني عندما كان أمره طبيعي ، ليس عنده مسؤولية ، ليس عنده وجاة ، ليس عنده منصب يكون معك ، لكن لما أصبح صاحب منصب ، وصاحب ولاية ترفع وتكبر عليك ، عندما كان فقيراً معدماً كان معك ، لكن لما أصبح صاحب مال تركك ، فإذن يقول : " أن لا تغيره ولاية - يعني مسؤولية - ولا مال " .

ورابعاً : لا يمنعك شيئاً تناله مقدرته .

بعني عندك حاجة يستطيع أن يقضي تلك الحاجة لا يمنعك عنها ، وإنما يبادر ويسارع من أجل أن يسد هذه الحاجة .

وخامساً : أن لا يسلمك عند النكبات .

في المصائب ، في البلايا ، والمحن ، أصبحت في موقف - (بتعبيرنا ذبك على صخر) - وتركك تجود بنفسك

.

٦- إظهار المحبة :

إنسان إذا كان يحب صديقه عليه أن يُظهر تلك المحبة ، وأن يُظهر تلك العلاقة ، بقوله ، وأيضاً بفعله ، لا يكفي بأن الإنسان عنده محبه لصديقه في الله تبارك وتعالى ويكتم تلك المحبة ، وإنما يجب عليه أن يُظهرها .

أ - فكما ورد عن نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) : قال " إذا أحب أحدُكم أخاه فليعلمه (وفي رواية فليخبره) فإنه أصلح لذات البين "

تكون العلاقة وطيدة عندما يقول له أحبك ، أظهار المحبة يوطد العلاقة أكثر وأكثر .

٧- النصح :

من حقوق صفات الصديق النصح ، يعني ،؟عندما أرى صديقي يعمل خطأ ، يعمل غلطاً ، منحرفاً ، من حقوق الصداقة أن ينصحه ، لا أجامل ، أو أداهن ، ويستمر في هذا الخطأ ، وهذا ليس من الصداقة ، الصداقة النصح ، كما ورد :

أ - عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : " الصديق من كان ناهياً عن الظلم و العدوان ، معيناً على البر والإحسان "

إذن الصديق هو الذي ينهى عن الظلم والعدوان ، ويعين على البر والإحسان ، عندما أراه يعمل البر والإحسان أُشجعه ، أحفزه ، عندما أراه إنساناً يعمل الصالحات يكون هناك تشجيع وتحفيز له .

المحور الخامس : من لا تصادق :

نحن بينا من نصادق ، الآن نبين من لا نصادق ، من لا يستحق المصادقة ، بل نبتعد عنه ، ونفر عنه فرارنا من الأسد ، أو من الجذام .

أ - ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن أبيه الباقر ، قال : قال أبي علي بن الحسين (عليه السلام) : خمسة لا تصاحبهم :

١ - إياك ومصاحبة الكذاب ، فإنه بمنزلة السراب ، يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب .

٢- وإياك ومصاحبة الفاسق ـــ الذي لا يتورع عن محارم الله سبحانه وتعالى ـــ ، فإنه بايعك باكلة ، أو أقل من ذلك .

٣- وإياك ومصاحبة البخيل ، فإنه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه

٤- وإياك ومصاحبة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك .

٥- وإياك ومصاحبة القاطع لرحمه ، فإني وجدته ملعونا في كتاب الله عز وجل .

ب - وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : " إياك ومصاحبة الفاجر فإنه يبعك بالتافه " .

الخلاصة :

خلاصة الكلام - حتى لا نطيل عليكم -، بأن الصداقة هي علاقة محبة ، ومودة بين الأصدقاء .

وصلى ا على محمد وآله الطاهرين .